

توطئة:

السمّ والرصاص....
إسمان يحملان الماضي والحاضر، وحتى المستقبل، هل
يمكنني قتل مَنْ فتح الباب خلّسة وأشعل نار الأوراق؟
هل حين ألمس النقط لأضعها على الحروف أقرأ رسالة بعث
بين صمت الأفعّة؟
فعلاً... إنه سؤال يختصر السمّ و الرصاص.

...

...

....

مُسَدّس..

من السهل أن يصبح مسدّساً..

لن تضيف اليهما النقط شيئاً.

في حياتنا...

النقط، مجرد نقط.

نداري بها عجزنا وهو اجس اللغة .

نُقَطٌ²⁸

وفاء عبد الرزاق

مجموعة قصصيّة

كُتِبَتْ في ديسمبر 2009

*

أحياء يرتجفون بين الواقع والخيال، بين حواسهم الضائعة
ودهشة إدراكهم لما يقومون به يومياً، أتساءل:

هل يمكن أن أدخل بينهم؟

أموات يعبر إليهم القلق وخوف النهوض من القبر، العن
خوفهم الساحر

أتفهم سحره، وأتساءل:

هل يمكنني الدخول معهم؟

ليست هذه حقيقة، ولا أكتب عن أشباح، أو أقطف من وقتهم
لحظة أستعيد بها أمس القريب، بل أجد ركبتيّ تنثنيان رغماً
عنيّ وتتخذان زاويةً مجنونةً ، ربما هو الجنون الأول أو
الدائم... من يدري،، أو رغبة مشروع أو فكرة جعلتني أبتكر
أشكالاً جديدة لأبطال قصصي..

قد أتفق مع أحدهم وأكون ضمن بوح الكلمات واستعذب
الحروف التي نَقَطْتُ والتي دون نقاط...

أيُّ الحروف هذا؟

الراء؟

تحكمتُ به في بدء اختياراتي وأغضتُ عينيّ لأتخيّل شكل
القبح، ربّما كشفت الهمّ المغطى في الضلوع ، ربّما أمضيت
به نحو السؤال ،،،، أو أوصلتني لبريده الأخير..

الإتران مجرد كذبة في تصفيات حساب الوجود.

أكتب كما أشتهي عرض الوجوه.. لذا جمعتهم على كراسٍ
بأرجل ثلاث

إنه الزمن الأعرج..

إهداء:

أعرف كيف تنزوي حشودك بداخلك ،، وفي غيبوبة قلقة
تجمعين كل الأشياء المتاحة للوجع وتصبحين وطناً بلا
ضجيج.

أروّض التعب لافتراضاتك ، وبين نقطة اللا رجوع و قلب
خُنقت أنفاسه...

أكتبك.... أخيتي .. رجاء.

لتبقين نفسي ونفسي والنفيس.

الرّاء والمسدّس

طاولة كبيرة تتوسطة غرفة جلوس تتسع لاثنتي عشرة
شخصية، هي مثلهم بثلاث .
المكان غارق بالصمت، وحدي أستمع إليهم وأجنّد مخيلتي
لاستخراج الأحاديث من صدورهم..
هم جلسوا كل على طريقته..
لنستمع إلى التصاق الأنفاس ببعضها.. كيفما شاءت هي
نستمع..
كيفما شئت..
أضع حفنة من كتابة.

الموت ،، وفق مبدأ الرصاصة وسيم وجميل وإن كانت تحت لساني كرة ثلجية. موت رغبتى المكبوتة كأنتى،، فالوحش النتن له ثوان يخور بها كثور ويهدأ نافثا في رحمي سمّه . لا أحد يستيقظ،، لكن أنوثتي تصرخ في الليل،، تنن،، تكتوي،، تتقلب، تنوح،، وتصمت حين لا ترى أحداً . أن تعيش بين الـ "لا أحد" رغم كثرتهم،، يكتبك حبر الصبر لتصبح حبراً مثله.

هكذا ابتدأت حياتي بعد أن شعرت بقدمي تفقد توازنهما حين تسمرت عيني في توديع أشيائي الأولى،، فراشي النقي،، ملابسي البسيطة،، العيديات السخية من يد أبي كريم النفس واليد،، نهدة أمي وهي تغمض عينيها وتخادع رجفة الوداع في دمعي.

في الشهور الأولى لزواجي قلت لنفسي:

- من حقا أن تتخذي من نفسك موقداً ومطفئة...

توقدت ،، نويت ،، أطفأت جسدي، فتت أوراقه على الفراش،، لعقت موتي الهادئ ، شممت رائحته، وتعشمت به كمغيث ساعة انتهاك، لعلّه يعطيني يوماً أرتجي به ألا يستيقظ جسدي ويكويني بي.

ما أصعب أن يكتوي المرء بذاته، وما أقبح وجه بخيل يخشى الاستحمام كي لاتصل الصابونة نصف الحجم.

خيارات القبح كثيرة ،، من حقي الانتقام منها كامرأة أقرّ قانون الحياة تعذيبها ببخيل ونفس حامضة،، يكره حتى قلبه حين يخفق لحظة مساعدة لفقير أو محتاج..يده تمتد الى لقمتي ، تحتطفها ، إلى محفظتي تسرقها، إلى روعي تهتكها، وإلى الجمره..... يده العوراء لا تمتد إلى الجمر.

لا أحد يستيقظ أبداً، يحدث لي دائماً ،، حشود حولي،، بل سبع رصاصات ومسدس. من أنا الآن؟؟ هل أعرفني؟ هل هذه من خاطرت أمها من أجلها؟

هل أنا شعلة ساعة وحشية أم رماد؟

أهو رماد أبي أم أمي؟

لا حياة تبدأ إلا من رماد التوحش.

بئسك أيها الإنسان،، بئسك يا "راء"

لا أحد يستيقظ لحظة أن تشهق امرأة وتغمض عينيها كي لا ترى وحشاً يفترس جسدها برائحته النتنة وزبده العفن. تستيقظ رصاصة النار الأولى ولا أحد يستيقظ.

قاموسي لي وحدي وهو الجاهل.

غموسنا اليومي كالعادة،، صنف واحد تنقصه كل مقومات الطهو..

جود الثلاجة بلا جود كصاحبه. اكتفينا بوجبة باننجان مشوي مراراً، ومراراً بخضار وخبز.

أهبل،، وخبث، اجتمعاً في بخيل وسخ... كان هذا اللقاء الأول والمكتوب في عرف الزواج.

يمرّ البخل المعجون في القبح،، الأيام تمرّ،، وماكنة الخياطة تحرق عمري.

حصيلة هذا القبح خمسة أطفال..

بعد الخمسة قلت لتلك التي كانت فيّ:

... تخثري واحمضي،، ثم موتي.

ماتت...

.....

....

والقبح بعده حي. بعده المطبخ، المقلاة، الماكنة،

مدرسة الأطفال، الإفطار، الوجبات، شرب اللبن، وسبعة أسرة في السطح..

وقت يكنّ البرد على الأضلاع،، أبرد وحدي، أكنّ وحدي، ووحدي أسمع شخير القبح حين احدودب فيه الكلب..

بعده يحيا ليعوي.... يعوي ثلاث مرات في اليوم،، وأربع مرات أخرى قبل كل صلاة.. خمسٌ ينبحن بعد

الصلوات الخمس.. يعوي،، يعوي.. ينبحن.

.... سبحانك ربي،، أهذا زمن العوي ولا أدري؟

أحياناً يستيقظ،، من أجبرته ليعتقل، فقد شاب فيه الرأس،، الا تكفيه مقلاة الأيام ليكبر ويصمت؟؟

شاخت أشجار حديقتنا كما عروقي بكفّي،، ولوني اصفرّ كشجرة الليمون في بيت الجيران. .. حتى الجار لم يسلم من

عوي القبح،، ظل ينبح على الجارة " أم سامح" ..كيف تدخل علينا وببيدها صحن مملوء بالتفاح!

هذا يعني علينا ملاءه حين نعيده إليها.

الماكنة تستيقظ ليلاً وتختبني على الأثواب،، والليل قبيح هو الآخر.

ستُ رصاصات في البيت، سأختار كما اختار الله.

في الأولى ... ذويت أنثى. ياااااااااه آه على تلك الأنثى،، حين بسملت القابلة بوجهها وجرتها نحو الحياة،، أيقظت

إبليس الدنيا ليتواطأ مع الأيام والقابلة لا تدري... قالت:

إنها زهرة تمتصّ الإبهام تريد بهذا القول أن تضع نقطة البسملة،، لا تدري بأن الرأء بلا نقطة.

في الثانية سؤال: هل شعر الفران بطعم العرق المرّ وهو يقدم طبق الخبز؟

خبزتُ نفسي ليأكل أولادي،، أربعة قمصان أخطها وأرقتها كل عام لباقي الأعوام لأولادي الذكور، البنات وحدها فازت بما

يخصها هي.

بنتي الصغرى،، امرأة دافنة فمها قطعة حلوى لا تنطق،، فمها يذيب لسانها،، الأنثى تتلج الشفة واللسان والعين

وتخرس.... كم هو مقدس هذا السمّ... تعودنا شربه...

لا تستيقظ حواس الأثني،، لا يبهجها ما يبهج باقي الناس،، لا تعطيها الملعقة عسل اللحظة..

اللحظة هي الأخرى رعناء،، الرعناء لا تعرف معنى الراء، ، ذلك لان النون توسطت حروفها بنقطة.

الشرف نقطة،، إن طاحت طاح،، وإن عرق جبين سالت.

جبين يعرق؟؟

الثالثة..... تلتها أربع فتاكات.

لا رابعة تحكي... أحكي عنها وأدلكم على مكانها في الجانب

الايسر من الصدر.. حبر أحمر أكتبه،، يكتبني

ساعات،، ويحكي وحده،، مثلي وحده.

كل شيء ينمو في البيت وأنا والكرسي نشيخ.. لا أشعر

بشيء ينتسب إلي

بالضبط.. بالضبط ينتسب إلي ،، يلتصق بي ،، أضع رأسي

في حضنه أفوض أمري له... ممنونة للدمع يريحيني مني

أحياناً..

خامس رصاصة لها الحق أن تهذي:

عين عسلية لم تذق نظرة العسل.

فم سكنت فيه الأشياء،، كل الأشياء بسكون ربع قرن.

النوارس تسافر إلى فضائها بينما أصغر أولادي خارج الدار

لايمك غير أحلام المسافرين.. أقصته عتبة دارنا المكسورة.

لها الحق الراء... بمسدسها أطلقت آخر رصاصة.

لم يبق غير المسبحة... وميعاد الموت..

الشبيهة لي لا تستيقظ من غيبوبتها ،، هي لعبة والعائلة

تهوى لعب الأم.. كم أتعبت الصبر وأحنيت ظهره.

أترنت بين فقدانين...ياااااااااااه .

وتحملتني أيها الصبر؟

روّضتك لتصير صاحبي الأوحد وتبقى وحدك.. جرب يوما

تبقى وحدك.. وحدك بلا نقطة.. الراء ماء.. بلا نقطة.

سبحان الله وبحمده نموت ونحيا.

آه يا راء الكرسي الأول..

لها الحق الآه تعشق وجه الراء.

أيهما مصبوغ بالآخر؟

؟

؟

.

.

نقطة.

**

حُرّ طَوْعَ حَرِّه

قتلتني نهايتها ، انتحرت بنقطة .
من تحت الأرض يأتيني صوتها .
عَبثاً أكتُم فيّ الكاتبة أريد عبثاً أقوى ، ، أتحمسه ، ،
أفرضه على كرسي أعرج .
السبت ، ،الأحد لا فرق .. نحتاج امتلاءً لحكاية كرسيّ آخر .
عنيذة هذه اللحظة .. ما بالي؟
نداءات الحرف مستسلمة لي والتفاصيل كثيرة ، ،فما بالي
ياربّي؟
طفل حيث وضعته ، يلهث ، والمطر في الخارج سخيّ .
طفل في صمت موهن قادر على أن يُصبح زلزالا .

أمشي حافي القدمين لأثبت لنفسي أنني قادر على تحدي نعلي المقطوع، كبرت قليلاً وضاق به إذ لا يوجد غيره لثلاث سنوات.. آخر عيد اشتراه لي أبي وقال : - كبرت قليلاً يا أحمد ومقاس قدميك يوحى بأنك ستصير رجلاً طويلاً.

كبرت يا أبي فعلاً وقدماي طالتا كما توقعت وصارت أصابعي تخرج من مقدمة النعل ،، تقطعت خيوطه من فرط المشي.. لكنه لم يكبر مثلي يا أبي،، لم يكبر .. في الحالات القصوي من المشي وحرّ الصيف يعرق الوقت على تراب الشارع،، النعل يثور على خيوطه وتثور عليه.

إنني أحزن عليه،، الأيام لا ترحم،، وأنا لا أرحمه أركض فيه كثيراً،، أشده أكثر نحوي وأهرب من أولاد المدرسة فهم أكبر مني .. حين يطاردونني أجري سريعاً كالمجنون.

في غرفة نومي لا أحد غيره صديق ورفيق،، أشكو له عوزي ،، خوفاً على أمي فزوجها يظربها بلا رحمة.. نقطتان بتاء الرحمة..

نقطتان كاذبتان.

الرحم من الأرحام وزوج أمي ليس منّا لهذا لا يرحم، يضربها بقسوة،، بقسوة جداً ،، أعرف لماذا يطوي حزامه ويضربها بقوة.

قلبها لم يعشق غير أبي ،، جسدها لم يمسه غير أبي، بإصرار يرفض أن يمسه غيره..

لماذا يا أمي ؟

لماذا؟؟

خاضعة لجوابين،، أولهما أنتِ اخترت زوجاً ثانياً،، أنتِ أحببتِ أبي لا غيره،، وأنتِ تعصين زوجاً يعرف أن عصيانه

كفر.. أغمضي عينيك مثلي فقد عودني اللعب على ذلك، العبي معه مثلي حين أشاغله بأشياء أخفيها عنك كي لا تموتين كمدأ .. هي النقطة فوق العين علمتني أغض الطرف وأدالس زوجك.

صرخت أمي حتى كاد قلبها ان يفر من حضن الصدر، كانت ضربة زوجها أقسى أنواع الضرب، وقعت على ثديها الأيسر فأدمته..

الليل يدلّس عن أخطاء يقترفها أب لا يرتقي لمرتبة أبي... كنت أسمي أبي الرحمن،، كانت تستوقفني هذه الكلمة كثيراً وأطبقها على طباع أبي، أجده فعلاً رحماناً.

عمري ثلاثة عشر عاماً،، وصرخة أمي لم تنم في أذني، كانت أذني تصرخ وجسدي الطري يصرخ لكن الصوت أخرس، ستموت أمي كمدأ لو عرفت بأنني نزلت مثلها، هي من الثدي وأنا من مؤخرتي .

من تلك الليلة لم يضربها ولم يقترب منها وإن رفضته ولم يلح عليها .. لماذا لم تستغرب ؟ يا أمي استغربي ولو مرّة.

كل الجارات استغربن منها، فهي مازالت في ريعان صباها ولم تحبل لثلاث سنوات.. أذكر مرة زارتها صديقتها وسؤالها المعتاد عن الحمل ..صمتت أمي مستغربة تكرر أسئلتها،، ضجرت منها ومنه،، سؤالها الأعرج،، تلك الجارة العوراء وقلت بهمس: سأحبل عوضاً عنها .

لو لم تضع الباء النقطة لقلت ،، سأح ل .. الكلمة تعيّرت كثيراً من (الحبل الى ساحل أو ساحل) وشتان بينهما.

من سيكون ساحلي؟؟

مَنْ يَحِلُّ لَغْزِ حَيَاتِي؟

لم أَدْفَعِ عَنْ نَفْسِي كَمَا لَمْ يَتْرِكْ لِي زَوْجَ أُمِّي مَجَالاً لَذَلِكَ ،
اسْتَعْلَجَ ضَعْفِي مُنْتَهِزاً خُرُوجَ أُمِّي لِلتَسَوُّقِ وَمَزَقْتِي بَيْنَ
يَدَيْهِ ، بَعْدَ أَنْ كَمَّمْ فَمِي صَهْرَنِي بَيْنَ ذِرَاعَيْهِ ..

النَّقْطَةُ إِذَا لَيْسَتْ ذَاتَ قُدْرَةٍ عَلَى الدَّفَاعِ عَنِ طِفُولْتِي
المَهْدُورَةِ ، كَمَا أَنَّهَا جَبَانَةٌ وَجَبَانَةٌ جَدًّا لِأَنَّ أُمِّي اسْمَهَا
بَلْقَيْسُ ، بِخَمْسِ نِقَاطٍ ، هُنَا المَصِيبَةُ يَا أُمِّي خَمْسَ
سِنَوَاتٍ أَدْفَعُ عَنْكَ وَكُلَّ نَقْطَةٍ بِاسْمِكَ عَارِ عَلِيٍّ .

وَقْتُ سَالِ دَمِي فِي اللَّيْلَةِ الأُولَى ، جَاءَنِي أَبِي فِي المَنَامِ
مَنْكَسَ الرَأْسِ وَجَلَسَ قُرْبَ سُرِيرِي لَمْ يَتَفَوَّهُ بِكَلِمَةٍ ، فَقَطَّ
كَانَ يَنْظُرُ بَحْنَانَ إِلَى عَيْنِي ،

كُنْتُ فَعَلًا بِحَاجَةٍ لِهَذِهِ النِّظْرَةِ ، تَصَيَّبْتُ عِرْقًا وَنَمْتُ مَمْتَرِجًا
بِعِرْقِي وَدَمِي ، لَمْ أَخْبِرْ أُمِّي وَلَمْ أَجْعَلْهَا تَشْعُرُ بِشَيْءٍ . يَكْفِي
نِظْرَةَ أَبِي لَمْ تَفَارِقْتِي اللَّيْلَةَ كُلَّهَا وَلَمْ يَغِبْ عَنِّي بَعْدَهَا أَبَدًا .

أَحْيَانًا أَنَا جِيهِ قَبْلَ النُّومِ وَأَرْجُوهُ الحُضُورِ فِي لِحْظَتِي
الخَائِبَةِ ، وَأَنَا أَتَطَّلِعُ لِبابِ غُرْفَتِي خَائِفًا وَجَلًّا مَتَوَجِّسًا ... لَمْ
أَغْلِقْ عَلَيَّ بَابَ غُرْفَتِي حَسَبَ أوَامِرِ أَبُو النِّقَاطِ .. (ضَمِيرِ
يَحْيَى) هَلْ فَعَلًا هُوَ كَذَلِكَ؟ كَذَلِكَ يَا أُمِّي؟ أَجِيبِينِي ، لِمَاذَا

اخْتَرْتِ اسْمَهُ يَحْيَى وَليْسَ فِيهِ أَيُّ شَيْءٍ حَيٍّ؟

تَحَمَّلْتُ الضَّرْبَ مِنْ أَجْلِكَ وَانْتَهَاكِي لِأَحْمِي تُدْبِيكَ مِنَ النِّزْفِ .
مَانَعْتَهُ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَخَرَجَ مَسْعُورًا ثُمَّ نَزَلَ عَلَيْكَ ضَرْبًا دُونَ
رَحْمَةٍ ، قَدْ أَتَحَمَّلُ أَنَا لَكِنْ جَسَدُكَ النِّحِيلُ المَرِيضُ إِثْرَ ضَرْبَتِهِ
الْآخِرَةِ لَا يَقْوَى عَلَى لِكْمَاتٍ إِضَافِيَةٍ ..

قَلْتُ لَكَ لَا تَمُوتِينَ يَا أُمِّي ، لِأَوَّلِ مَرَّةٍ لَمْ تَلْبِ لِي طَلِبًا ،
حَزَنْتُ عَلَيْكَ كَثِيرًا وَسَعِدْتُ فِي الوَقْتِ ذَاتِهِ .

صحيح لكل إنسان أجله لكني شكرت الموت..

لا أدري هل شكره أحد قبلي أم سيشكره آخرون غيري!
ولأول مرة أرى النقطتين في حرف التاء تتصفانني، لذا
أطلقت لقدمي العنان وتركتهما تحتضنان الطريق.

إلى روحك أمي:

لا أحد يدري ،، سوى نعلي المهترئ،، هو الشاهد الوحيد فلا
تخافي الخزي والعار يا أمي .

هل تدرين...

وجدتُ نعلي المهترئ أقربَ صديقٍ لي وأحنُّ عليَّ من
زوجك.

أن تعيش وحدك تعصرك الأسئلة ،، يعني أنت بحاجة إلى
ملايين القلوب

وملايين الاستفهامات (؟؟؟؟)

؟؟؟؟؟

؟؟؟

؟؟

؟

نقطة

ماذا لو طاحت النقطة عن كرسي 2؟؟؟؟؟

*

قد أبدو مجنونة لو حاولتُ البحثُ عن الكلمات.
لكني بحاجة الى سؤال:
- هل الموت بطل؟
ما شكله،، هل هو طفل أم شيخ؟
قد أبدو مجنونة فعلا لو أعدت السؤال لان السؤال بلا نقطة.
السطر المستقيم يبدأ من نقطة،، ثم يكبر.
وكرسي 3 مجنون أعرج

سَمَاءُ صَمَاءُ

المظلة؟؟؟

للمظلة نقطة أيضاً.

أستطيع اليوم أن أتساءل : ما الذي يجعلني لا أضع النقط على الحروف؟

من الغباء جداً ألا أقول إني امرأة صماء،، وبكماء.
بأيهما ابتليت أولاً وأيهما صارحته الحياة لتثبت له قوتها وسيطرتها وقدرتها عليه .

سأنتصر على نفسي وأثبت للجميع أنني أقوى من رجولتهم.

تركت جسدي للمطر وتركت ثيابي تبتل بكثافة، كنت بحاجة إلى رفيق وإن كان مطراً. رفيق أشعر به ويلمسني،، فقط كي يطمئن صوتي المحبوس لمن يعترف به كإنسان.
الكلام أحيانا يشبه عتاد الحرب، ولساني هو الجندي المهياً للموت.

رغم معرفتي بأن لي ما يشبه الحياة وليس الحياة ذاتها، أغمضت عيني تحت المطر . لا أدري لم شعرت بالدفاع رغم برودة الطقس،، دفاع لم أشعر به من قبل.. قد يكون دفاع إنسانيتي لحظة خرجت من شرنقة الحياة وحلمت بي.

فجأة وجددتني أتساءل: ماذا سأفعل بعزلتي؟

كيف ستقترب مني وأقترب منها؟

كيف سأصل أرضي، وكيف أحضنها؟

كلما اختلقت كذبة لاكتشاف الصوت في حنجرتي وجدت الإشارات تأكل أصابعي

،،

،،،

هل سيعود كل شيء إلى وضعه الطبيعي؟
وتعود النبضات الدافئة سماء ليست صماء؟

*

حين نتقاسم الحزن والصمم أو نقايضه بشفتين مرتعشتين كأنهما في صقيع،، أو وضعت جمرتان بينهما وتسمرتا كي لا تنطبقا،، ماذا سيحدث؟

وكيف سيكون شكل الكلام وهو يتيبس مزرقاً؟

كيف سيسمع الكرسي رقم ثلاثة حكاية نلعب معها لعبة الكراسي؟

ربما سيتفقد رجله المكسورة،، من يدري،، قد استنطقه هنا وأتركه يبحث عنها لعلنا نصل إلى شيء ما.

أحياناً تمطر السماء رصاصاً.....

.....

كل شئ يعاملني بقسوة حتى الغرف والجدر،، المفارش والأغطية، الأشكال غير المفهومة والأماكن .. جديد ،، قديم ،، هو قاس.

الحياة قدمت تسهيلات لأخوتي الذكور وخلقت معهم علاقة جميلة..ما يجري بيني وبينها،، اغتراب،، اغتراب له الأولوية بي،، يتجلى في أحلى صورته حين يهني الموت البطيء.

أصابني تقرب من روعي تأخذ شكل الحنين وقت أحداث حبي الأول وخفقان قلبي الأول وكأني أكتشف فضاءً جديداً.

المواجهة مع الصحراء ،، تلك المدينة التي أعيش فيها مع أسرتي ، مكاني الأول في بيت لا يعي رثاء الذات للذات ولا يدرك حقّ الحلم لتأنيته مثلي.. أيّ حلم عابر يكنّ إليه شرودي وانغزالي . ربما موعد يزهر وجنتي،، ربما لحن شجيّ على جناح شوق،، أو.....

لا أظن الـ (أو) الأخيرة ستتحقق وتتركني أتعرف على صوتي ولو ثانية من ثواني الحاة.

الجميع ينامون إلا أنا ،، أركن إلى نفسي بعد جهد نهار يغتالونني فيه..

أبحث عن جواب لعشرات الأسئلة ،،، أبحث عن وطن لي فيما يدّعي العالم أنه وطن ،، لا أدري لم يصرون على تسمية البيت بوطن؟

أنا أراه شرطياً يركض ورائي وأسرتي صورته..

في سمرهم يتمتمون ،، يصرخون كعادتهم في تبادل الحوار إذ لم يألفوا قبول الرأي ورأي الآخر،، ثم ينتهي بهم المطاف

الى الخصام، أفهم هذا بفظنتي وأعرف من وجوههم وعروق الصراخ في رقابهم ..

في سمرهم صوتي وحده يتوه مخنوقاً يبحث عن كلمة أو حتى نقنقة ولو بما تشبه الضفدعة... من يدري ،، ربما ملّوا من محاولة إيصال أفكارهم لي وممارسة اللغة معي حتى في أصباح الأعياد..

رغم إنني أصغر أخوتي لكنني أكبرهم سنّاً خاصة بما يمليه عليّ أبي من أوامر ضارباً بدفوفها على رأسي..

هم يأخذون (عيدياتهم) أكثر مني فالمبلغ الكبير للكبير والصغير لي،، لا لأنني أصغر الأبناء بل لأنني البنت،، والبنت البكماء الصمّاء..

أعذره ،، أبي الشرطي الأكبر،، قد يفكر كيف سأصرف مبلغ العيضية وأنا حبيسة الوحدة والبيت،، ثم لماذا يعطيني إيّاها أصلاً وأنا لستُ بحاجتها..

حين يخرج الشرطيان للتسوق أكون معهما لأحمل أكياس الفاكهة ،،، هذا يعني أنني لا أستخدم عيديتي في أجرة المواصلات .. معهما حق فمن لا صوت لها ولا تسمعها ولا يفهمان لغة روحها تُهجر بمرور الوقت وتُصبح عالية على حياة الآخرين.

كما أعذره حين أخرجني من المدرسة ،، كانت المدرسة بالنسبة لي مجرد ضباب،، حسبتُ حين أغادر البيت كل صباح ساكتشف نفسي، لكنني أضعها في ضباب المدرسة ...

قرراً ذات مصيبة أن يزوجاني رجلاً يكبرني بعشرين عاماً يعمل مع أبي في دائرة الكهرباء.. وافقت أمي فور سماعها الخبر وقررت نيابة عني .

عرفت أنها ستقول:

- انا موافقة ، على الأقل حين تنام عيني في قبرها أكون مطمئنة عليها فهي برعاية أب آخر... هذا ما فهمته من اطمئنان عينها ومسح أبي شعرها وتقبيلها على الجبين. لم تفكر أمي إلا في نفسها، فهي تريدني أن أريحها في الحياة والممات لكنها لم تفكر بي بكليهما... هل أعتبر ردها المتسرع حماية لي؟

من لي أنا وقت يزلزني الخراب في فراش رجل بعمر أبي؟ رفضت مستعملة كل حواسي بأصابعي ، رسمت علي باب غرفتي إشارات كثيرة بقلم أحمر وكسرت شموعاً على طاولة الطعام ، فتتتها بيدي بقوة لاثبت لهما أنا من ستتفتت هكذا وأنا الشموع .

لكن كما اختاراني التابعة لاسم أمي لم ينفع عصياني... نعم تابعة لها منذ الصرخة الأولى، بما أن اسمها غيداء فلا بد أن يكون اسمي سماء .

لم أعرف ما قرراه فانا ابنة الصمت الدائم ومن الطقوس الجديدة عرفت أنها طقوس الزواج.

فكرتُ بإعادة حياتي لي وسرقتها منهم... صوتي لم ينقنق إثناء تفكيري،، هو مثلهم الآن ، باتخاذي قرار التفكير لم تتقنق ضفاده.. أعدت التفكير في الشارع، أحيانا الشوارع أكثر رحمة من الإنسان،، فكرتُ وفكرت،، والضفدع كلما اقتربت منه يبتعد،،، يبتعد،،، طلبتُ منه أن يدخل بيت جارنا ويشد حبيبي من ملابسه يقوده إلى حيث سفك دمي..

الضفدع مشلول الليلة ،، حاولت جاهدة تحريكه في كل الاتجاهات لم أفجح في بث الحياة بعروقه،، حتى صراصير الحمام ... في عزلتها،، تقبع في زاوية الليل.

التجأ قلبي إلى أضلاعه فشعرتُ بالسيف الأول لولادتي واسمي التابع،، ارتجفت أضلاعي ينسلّ منها قيح صامت.. لم لا أهرب، سأهرب،،، كثيرون ساروا في قوافل الرمال،، كثيرون أطفأت أحداقهم الحدايق وقت برد دون غطاء،، كثيرون ارتموا بين الأرجل الدافئة،، كثيرون مازالت تبحث عنهم الشرفات الفارغة.

كثيرون مثلي،،، كثيرون وحدهم،، كثيرون خانتهم نقطة البدء،، كثيرون نحن...

كثيرون، أحبائي، لماذا لا نضع لنا نقطتنا الأولى؟؟؟؟؟

نعم..

وحيدون،، نغسل رجبس اللغة وتترك أقدامنا استفهام الأثر.

؟؟؟؟؟؟

؟؟؟

؟؟

؟؟

؟؟

في قلب النقطة،، نقطة كل الأشياء.

طوووووووووووووووووو

ط

لك...

عامر...

أيها المسكين...

لك كل هذا ال (طوووووووووووو وكرسيّ أعرج.
رصاصك يصوّب باتجاه البحر.... بينما الأغلفة نسيت ثيابها
على الشاطئ.

كرسيّ رابع بثلاث قوائم،،،، حيوان أعرج.

عامر....

*

هنا بدايتي،، من تعبهم حين يجيئون الى عربات القطار
وعيونهم في اتجاه واحد.
نقطة اللقاء أو بدايته الأولى،، وإن تكاثف المطر فوق الزجاج
أو اشتد الحر على قلوبهم .

في مغامراتهم مع الوقت يحاولون الدخول إلى أرواحهم
لاقتناص صورة المواعيد ،، صورة اليد وماء اللحظات
الراجف بين الكفّين،، صورة الحبيبة،، الزوجة ،، الأم ،،
الكهل، وصور التواييت التي ستقلها السيارة إلى
تربتها الأخيرة.

تتداخل الصور بين العربات وتعتمد الخارطة ليظهر الوطن
المفرغ من كريات دمه الحمراء والباقي أصفر كوجوه
المتعبين من المنافي والعائدين إلى ذويهم ..
الأوطان لا تبادل أبناءها الألوان،، لكنهم يبادلونها لون
بشراتهم وقلوبهم وعرق الجباه.

المتعبون دائما ينزؤون من شيء واحد،، وربما من كل
الأشياء التي أثقلتهم فلم تعد أجسادهم تحمل ثقل رؤوسهم لذا
راحت تترنح وحدها كصائم في أرجوحة،، حتما ليست في

اخترتُ اسمه " عامر " وأعطيته كل الرصاص....

....

....

....

إنه كالطفل تنشب أظافره في الموج وتبقيه خاسراً.....

اعتدال الطقس نسي الموعد .

تخشبت ذراعاه في مواجهة حوت البحر.

تخشبت مسافاته وصاحت: يا...
...
...
يا...
.

أراجيح العيد ،، والصائم حين يهتز بأرجوحة أيامه يستفرغ
عصير روحه.

من الصغير يستفيد كثيرون لأنهم لا يسمعون أصوات
خطاياهم حين ينطلق القطار من مدينة جنوبية إلى العاصمة.
كل الأصوات تتلاشى وقت انطلق وأعلن السفر، حتى
صرخة العروس التي غمرها اهتزاز العربات باهتزاز جسدها
المُخترق.

صوتي، لماذا لا أعطيه حريره إلا في مرحلة ارتفاع
الصغير؟؟؟

لا يحتاج إلى أربع علامات استفهام، بل إلى كل النقاط التي
نامت تحت علاماتها الإستفهامية.

عامر وحده يغني للصغير وصوت سكة الحديد ،، قد يأكل
دون جوع ودون حاجة له في الأكل، يأكل ليقتل عامر
الملول فيه، عامر الوحيد داخل أضلاعه، عامر التائه
بعامر.

يحمل جسد المدينة ويتوه فيها، لا يجد غير اللكمات،، يسأل
عن عامر يغلق باب غرفته عليه ويبكي في حضنه، فإلى أي
عامر ترنو يا عامر؟

وقت ينزل عروسان في محطة ،، أقرأ عيون المنتظرين
وزغاريدهم،، وأبتسم لحياتهما الجديدة... أحياناً أكتفي بظل.
كل راكب له محطته ومن ينتظره، له وجهته باتجاه شراع
،، يدخل بيته مثلاً ليغتسل ،، تنفض وجعه امرأة وتلتصق
به..

الخيالات كثيرة والتوقعات أكثر على أرض الواقع...

أقف عند محطة العاصمة ،، تفرغ العربات من هموم راكبيها
،، تفرغ الهموم من قلوب حامليها، وأنا تفرغ ساعاتي من
دقائقها لتصبح مجرد ساعات متلاحقة، ساعات يتيمة،،
أهرب منها إلى موعد رحلة الرجوع إلى الجنوب وأولول: -
متى يرجعون.

ضد الساعات اقاوم دقائقي، ضد الساحات والأرصفة
المسنونة.

يختبئ خوفي في صدري،، وأصبح بيتا مخلوع الأبواب
أصارع خيالي وحدي.

لا مرآة لي لأضع فيها الضفة الأخرى من وجهي،، كسرت
مرايا داري، أخلق ذقتي لدى الحلاق وأغمض عيني حتى لا
أرى عامر في مرآته.

أمشي بخطوات معروفة كل يوم ،، من الدار إلى المحطة
وبالعكس وأهرس أيامي،، أما أحلامي فقد وضعتها في
الأدراج المهملة ولم أعد إليها بعد تجربة عقيمة... اللقاء
يُطفئ العطش ويُخرس البوح،، ومن عشقتها هوت جسدي
المخذول وفضحته عندما وجدته تخشب على أغلاله.

تغويني المحطات والصغير، أعداها بعدد أيامي وأنتخب منها
ما ينسيني نفسي.

عند محطة الجنوب أتوسل تلك اللئيمة،، ساعة الصغير
لتأخذني مني إلى صدرها المدوي.

كيف هو احتضان الدوي؟؟ ما هو شكله؟؟ ماهي رائحته؟؟ ما
هو وسعه؟؟

كيف تلتوي أمنياتي بين ذراعيه ليقذفها إلى كلب الهواء
المسعود بسرعة القطار؟

أنا أنتلفت الدوي وأصبحت ابنه الشرعي .

قال لي مرة :

- اخلع عنك عامر... فخلعته.

أعاد الكرّة:

- ابعده عنك النساء...

فأبعدتهن ... ما حاجتي لهن وأزرق النعاس ينام في النصف
الأسفل من جسد عامر المنهك.

حين طلب مني ألا أكثر من إنجاب الأطفال إثناء حديثه ،،
ضحكت بصوت عال، عال جداً بحيث صمت الصغير لحظات
كي يسمعني ورجع لينتصر عليّ .

سألني إثناء احتكاك السكّة بالعجلات واحتدامهما:

- لماذا تعدّ إلى ثلاثة كلما نظرت من النافذة؟ لماذا ثلاثة فقط؟
أجبتة:

- أفرح حين أرى بيوتاً تركض خلفي مسرعة فأختطف
ارتعاش الضوء من نوافذ بعيدة، وإن لم أكمل العد لثلاثة.

حين استوحش وجهي، أرى جسدي يركض مع الأشجار
فأفرح لأنه يرقص... ربما يستجدي الفرحة من نافذة في
قاطرة.

مَنْ مثلي يحادثه الدوي ويكلمه الصغير؟؟ اليس من حقي
الكلام بصوت عال هنا؟؟

فعلا ، من حقه أن يعلو،، صوتي المسكين وأدته الحياة حين
ولادة عسيرة على يد قابلة خرساء، قابلة أشارت بيدها عن
اسمي لتدوّنه في قسيمة الولادة وتقدّمها بعدها لدائرة
النفوس.

هذا يعني أنني ابتدأت بإشارة والظاهر سابقى محض إشارة.

أنا الآن بحاجة لصمت تلك القابلة، قد استنتج منه جواباً

لسؤال يراودني؟

- لماذا قست عليّ الحياة؟

- لماذا تُسرق منا الحياة؟ نحن أبناء الخيبة من صنع الله
أيضاً.

لم نفعل شيئاً يؤذي الآخرين، مع هذا لا شيء يجعلنا
كالآخرين، همومنا الصغيرة لا تعني أحداً وكل خياراتنا
معدومة.

لا فراش معطر ولا زوجة نضع همومنا بحجرها ونغفو، لا
طفل يُكنّى باسمنا، ولا صديق تأسره حكاياتنا.

الشارع يدعونا فنستسلم لأمره، هو الوحيد يجعلنا نشعر كأننا
في كف مليئة بالرحمة.. والضجيج صديقنا الأليف.

حتى حواسي الحية لبست حدادها وانتعلت دفّة الشارع..
تاريخ منسي نحن ، نحمل فقراً وبؤساً ونقف لنفك زمام
الفقر.

أترانا نترك على الأرض علامة؟؟

يضحك الظلام علينا مثل نساء الليل،، تضحك عليهن ألسن
الجميع بعد أن يمتصوا رحيق أنوثتهن.

أشتهي يوماً موعداً لأنثى، أسمع نبضات قلبها البكر، ألهث
بقبلتها، أعدّ خطواتها خطوة خطوة،، وتستقبلني قائلة:

- حبيبي،، بهاوّك ينشر فرحاً مفعماً بالمسك،، فأحتضنها
ناسياً الدنيا كلها.. لكنني أصحو على صوت،،،،

طوووووط،،،،طوووووط،،،،أتساءل:

أكل هذا الطوووووط لك يا عامر؟

أين الـ " النقط النورانية " لتتير لي حياتي؟

الصراط مستقيم ومن مشى عليه دخل الجنة.
أيتها الجنة العامرة بالنقاط،، الصراط بلا نقطة.

الطوووووووط بلا نقطة تنقصها رائحة الخبز كي تقرأ
أحلام البيوت النائمة بجوعها.
كم نقطة تنقصني لأصل الصراط؟

الكرسي رقم خمسة.....

أدرعُ وأمنيائتُ ...
أدرعُ انتفضت على ذاتها ومشت باتجاه الشارع..

من يسمع دقات قلبي؟
أيّتها النقطة ... كل الطرقات احتشدت في عينيه.

الممحو

كل من يُنفيه هو عدو الحقائق حتماً..
للمسدس أشكالٌ مختلفة،، كما الرصاص ،،، حين ابتكر
الشذوذ.

الممحو،، يعطف عليه الآخرون أحياناً ليثبتوا أن العالم مازال
بخير.. يضحك عليه أطفال متوحشون... متسولون يصفونه
بالمجنون... الذي لا يعرفه (الكثيرون) أنه
ذاته له رغبة معرفة الافتراضات التي تُبقية دائماً غير
المُكترث به..

أتراها لعبة بشرية وربانية؟؟

؟؟؟؟

؟

يضحك أخي الصغير دائماً.. دائماً يُغريه الريال على ثيابي
للضحك ،، أختي السؤومة مني ومن أمي التي أوصتها
الاعتناء بي،، تهزني كلما رغبت اللعب معها.. صحيح هي
تبدو برأس صغير وعينين مفتوحتين وأنف يستقر على
مساحة وجهها معتدلاً ولا تتساقط منها الريالة كلما تكلمت...
لكني أحبها،، نعم أحبها وأرغب أن أكنّ قريبها حين أستوحش
المكان والناس..

خادمتنا تأمرها أمي بجمع الأرواث من حديقة منزلنا ،،
تجمعها وتغني:

- (هذا مو إنصاف منك غيبتك هلگد تطول) .

تتذمر وقتما تراني عملتها على نفسي وتقول لي:

- أيها العفن.. ابتلاني حظي بتنظيفك.

يُنفيه العناق وأثوابه الوحيدة حين يحكُّ جلده من وسخ
الأيام.

قريبون و بعيدون ينفونه... ولا يرون دموعه الممتلئة
بابتسامه ودم.

*

يحصل هذا صباحاً لأن لها وقت محدد في العمل بدارنا بأجر زهيد لمساعدة أمي المتفوخ بطنها .. لا أدري لماذا ترفع أمي كفيها بالدعاء كلما نظرت إلى وجهي.. أسمعها تدمدم:
- ربّي اجعل ما في بطني صحيحاً بحق محمد .

خادمتنا لا تضرب أخي اللّوح ،، بل تصبح طوع أمره وتحضر له رضاعة الحليب ليرضع نعجته الصغيرة ويدلّها محبة بها وحسرة عليها كونه حرماً من امها اثناء زيارة أبي لمزرعة صديقه غفّار.. تقرصني بقوة على مؤخرتي وتصب عليها الماء الساخن عقاباً لي.

لا أعرف شيئاً عمّا يضعه أبي كل صباح بيد أخي الكبير قبل مغادرتها المنزل،، لكني أمدّ يدي مثله لأشعر ببرودة معدن يلمع بيد أخي... يضحك أبي ويفرك شعر رأسي بلطف ثم يغادر إلى غاية لا أعرفها أيضاً.

أكل كل ما تركوه على طاولة الطعام ... أفطروا على عجلة وتركوا لي نصيباً من زادهم إضافة لزادي اليومي... أكره البيض مسلوفاً ... لماذا ألتهمه..؟ لا أدري،، ولا أدري ما الفرق بيني وبين كلبنا،، فهو مثلي ترحرت قوائمه ليبول الآن وريّلاً لرائحة الطعام . لماذا لا يبول على الحائط كعادته ؟ هل هو واثق بأن الخادمة ستمسح بوله عن رضا؟

أراه يُسدل أذنيه إلى الأسفل ويدخل رأسه في بطنه حين يسمع صراخي بسبب ضرب الخادمة المبرح لي،، وبسبب خروج أمي للتبضع من السوق.

أحبه أكثر من أي أحد في المنزل .. ليس بكثير عليّ أن يرعاني كلباً،، يعطف عليّ ويلتصق بي أكثر من كثيرين بيتعدون عني.

يذهبون لزيارة أصدقائهم ويتركونني مع الراعي المحبّب لي،، هو لا يسخر منّي ولا يضربني ،، ولا يخجل من شكلي ولا من صوتي،، فنحن متشابهان في العوي والريال،، هو يصيح حين ابتعد عنه:

- عوووووووووو،، هووو،، هووو.
وأنا أرد عليه:

- تبتبتبت،، أوأوووووا،،، وأبتسم ابتسامة بلهاء.

رفعت المريلة التي ربطتها الخادمة بعنقي وركضت نحوه... وضعت شفتي المبلولة على رأسه ولعفتي بلسانه الطويل.
ربما أرفق بي وبوحدتي وقرّر الخروج بي إلى الشارع بغفلة من الخادمة. سار أمامي،، فسرت خلفه ويدي (طاسة) مملوء بالرز غير المطهو جيداً،، أخرستني به الخادمة لتتال صمتي الجائع .

سرنا لا ندري إلى أين،، حرقنا شمس الظهر،، جلسنا معا على قارعة الطريق نلعق المتبقي من الرز في نفس الطاسة،، ولما بقيت حبات فقط ترك دوره لي ،، لعقتها ولمض لساتي ثم تهدّل فرحاً بالطعم وحزيناً كون هذه الحبات آخر ما نملك من زاد..

لم أسأل عن مصدر السعادة بعيون الكلب ولم تخطر ببالي الأسباب التي جعلت الطاسة ممتلئة بنفس المعدن الذي يضعه أبي كل صباح في يد أخي...

عندما رمى مراهم بجسده على الطاسة وخمط المعادن بالشكل الفضي وميزها عن التي بلون داكن،، يشبه شيئاً في دارنا تلمعه الخادمة قرب حلول ضجيج وأفواه مثرثرة

وأصوات متداخلة ببعضها تحصل في دارنا ،، وأمّي مكشّرة
في وجوه الجميع.
لسعني البرد في حلول الظلام وطويت جسدي على جسد
الكلب،، تداخلنا ببعضنا كل يريّل على الآخر بينما الطاسة
امتلأت مرة أخرى ... تكاثر حولي أناس لا أعرفهم ،،
وجوههم مثل وجوه أسرتي لكنها تختلف عنهم بوساقتها
وقذارة أظافرهم وملابسهم الممزقة.. أنقذني منهم رجل
ضخم وأمسك بيدي متسائلا:

-
لم أعرف ماذا قال لكنه واصل السير خلف الكلب ممسكاً
بيدي.

*

الشارع أعطاه ما يرغب به.
ذلك....

الممحو بقدرة ربّه وبعيوننا.
صوب كرسيّ سادس مرّعليه مشرط
النقطة،، سيكون اتجاهنا في البحث عن
البياض.

لصّ أدّهسّ

ربّما شريعة الغاب اقتضت ذلك..إذاً، لا بأس إن افترستك الكواسر، أيها اليتيم الصارخ في داخلي ،، تكحلّ باليتم وبالصبر وسرّ حيث أسير.

نصف يومي أفضيه في الطرقات، والنصف الثاني في المزابل..

الذي وهب درع التكريم للقائمين على رعاية أطفال الشوارع أو الاهتمام بأمر أحد منهم لم تتقلص معدته جوعاً ولم ينزف جرحه وهو يبحث عن خبز يابس محشور بين القناني القذرة، يمسح عنه الأوساخ ويلتهمه. سيتصدقون عليّ بنظرة ويتركون أمّي المريضة بالسعال تنتظر عودتي في غرفة من صفيح.

تسعل دماً كلما انتابها الخوف على طفولتي ،، تنهض مثلي بنصفين ،، نصف هزيل بانت نتوءات عظامه، ونصف أكله السعال،، لنا الأنصاف ولهم الكل.

ترحف بنصفها الهزيل وتتوسط مزلة قريبة من كوخ الصفيح... تحفر بنصف عظام ناتئة ونصف تقرّحت سبله في البحث عن لعبة لأختي الصغرى كي يصمت صراخ الجوع في بطنها.

هي الباقية لي،، احتفظت بها أمّي في بطنها،، كانت وقت مات أبي وأختي الثلاثة بانفجار في سوق الخضار خارج البيت،، تغسل الملابس في بيت مدير الشرطة وحامل بشهرها السابع. رحم الله أبي ، رغم شلله كان ينزل السوق بعربة من الخشب يدفعه أخي البالغ من العمر عشر سنوات وينزل به الى السوق ليبيعان الخضار (الكراث والفجل والبصل الأخضر)

في المكان السهل..
تتربّصك الرصاصات...
أيّها اللصّ.....
انتبه!

المدرسة عجوز بلا عكّاز وبوصلة
الكتاب عصارة مُرّة.

*

سأقولها لكم:

- حدّقوا في الخناجر،، لم تتغيّر الحكاية ،، الشكل فقط أخذ
وجهاً تكنولوجياً كيف للإنسان أن يصبح حيواناً كاسراً؟؟؟

ويرجع مع باقي أخوتي بقليل من ربح يقتسمه بين شراء الخبز وشراء الخضار ليوم ثانٍ.. كان عمري خمس سنوات لذلك تعطف عليّ عمري الصغير في البقاء مع أمي لتأخذني إلى بيت مدير الشرطة . تتحصن بدموعها وتغسل ،، وزوجة المدير تصرخ بها وتشتتم زوجها كونه لم يعاقب الشرطي الذي تأخر في جلب الغسّالة من التصليح. حين ذهبوا ولا عودة.. لم يكن حصن الدموع واقياً أو كافياً للم شمل حزنها .. زوج وثلاثة أولاد في لحظة واحدة،، أي فقد هذا وأية دموع تتحصن بها امرأة تنتظر طفلاً سيرى الدنيا وبحضنها طفل يتعلق بثيابها خشية فقده الطريق كلما توجهها صوب بيوت المدراء. ذات قبلة،، تهشمت دارنا الأولى ليضعنا رمادها بين يديّ دار من صفيح.

وذات عبوة ناسفة في سيارّة ضاع كل شيء لأمي . سمعتُ أنينها الخفوت ساعة الطلق،، أنين،، صراخ،، دعاء،، ورجاء بيد تمتد إليها في لحظتها العصبية ،، وأمل بروية أبي قربها يخفف عنها الألم.. لكن الطلق لم يرحمها ،، ضاقت عليها ساعة الولادة ونزلت أختي مشوهة من نصفها السفلى،

صرخة حياتها الأولى كانت برجل قصيرة جداً وكأنها أصبع زائد عن جسدها،، ويد يميني زائدة هي الأخرى عن جسد لدن صغير ... أصبعان فقط،، حين كبرت قليلاً صارت تُشير به إليّ لأحملها وأدور بها في الشارع.. طفلان يحاولان اسكات الجوع.

حسدتها كثيراً لأنها ترضع من ثدي أمي،، نعم حسدتها ورجوتُ أمي أن تُرضعني معها ،، لكنها قالت لي:

- بُني... لا حليب في صدري،، أختك ترضع رائحتي فقط وتنام. ذات قبلة،، ذات عبوة ناسفة ،، وذات صدفة عبثتُ في القمامة فعثرتُ على لعبة جميلة جداً استغربتُ كيف رماها أصحابها في المزبلة..

أسرعتُ بها إلى أختي أفرحها بما ملكت يدي... قذفتُ اللعبة في الهواء واحتضنتها ،، ثم قذفتها ثانية وثالثة والتفتها،، في الرابعة التقفها مني شرطي كان يراقبني ولا أدري،، شدّني من أذني:

- كيف سرقت هذه اللعبة من أعطاها لك؟

- من هم أصحابك؟ من هي العصابة التي اختطفت الطفلة (مي) وهي تلعب قرب دارها؟ تكلم أيها الأجرّب قل؟

استعطفته بكل الانبياء والأولياء لم يأبه لي:

- إسمع... نفس اللعبة في الصورة معي،، قل اعترف كيف تساعد العصابة ،، هل تستدرج الأطفال اليك وعصابتك تكمل الباقي؟

- كم كان نصيبك أيها اللص؟

قلت له سيدي: لم آخذ نصيباً من الحياة غير الجوع والفقد وها هي حالتي تصف حالتي والطريق شاهد على ما أقول. دنا منه شرطي آخر،، انتهزتُ فرصة انشغاله معه وهربتُ منه راكضاً لا أدري إلى أين... ركضتُ وركضتُ ،، ثم لهثتُ كثيراً وتوقفت لثوان حتى أتصالب قليلاً وواصلت الركض.. كان الشرطي يركض خلفي ،، العتبات تركض هي الأخرى،، والبيوت... كل شيء تعب من الركض واستقر في مكان ما إلا أنا ،، لم أتوقف ،، قدماي غمرهما رملٌ متوحشٌ ابتلعهما وغاصا بين سخونته. أين أنا لا أعرف،، فقط صحراء تمشي

خلفي وصحراء أمامي ،، وقعت ،، وجدتها رخوة لا تحتضن صغيراً، لماذا الصحراء لا تُشبه أية أرض؟
أين أمي ،،، ماذا عساها تفكر الآن ،،، هل مزقتها القلق عليّ،، هل بها قوة لتبقى ظلاً لأختي المسكينة؟
كيف غفوتُ وغاصت أوصالي في خط حفرة جسدي في الرمل؟؟

السماء تضغط على صدري ،، أراها بنصف عين ،، كئي مشلول الحركة وعيني تدور نصف دائرة..
سماء وهبتي النصف في كل شيء،، حتى اللعين حين ضمّني لم ينشق بقياس جسدي المتخشّب...
لن أدفن بنصف شبر أيها اللعين ... ثلاث نقاط هنّ وصمة عار بوجهك،، أية واحدة منهن لا تصلح أن تصبح خال حُسن على خدك .
أنا الإبن الشرعي للطريق،، وأنت وحشٌ في صحراء على هيئة قبر.

سأنتصر عليك وأنقيّ جياح المزابل من العُرج ...أصنع لهم أرجلاً صحيحة من لحم ودم وليست صناعية،،، فالأرجل الصناعية للمبتورين الأثرياء،، ولنا السماء الماطرة بالأرجل..

كرسي رقم 7:

أحلامنا ضبابٌ والسحابة ليست أمّ
بين هوة الجريمة وهوة الانتماء،،، هوة أخرى ..

.
. .
. .
و

الصُّلبان هي الصُّلبان،، تتنزّه في دمننا فاردة ذراعيها كفزارعة الحقول..

هي

الفزارعة

و

أنا الحقل.

أيُّ

رحمن لم يذكر اسمك؟

*

دُعاء

أكتبها أو تكتبني.. كلانا ستمحو أسماءنا ساعةً معلقةً على
جدار الحياة.
الآباء خرائطٌ ناقصة، بينما الأمهات تعرّي حليبها لتقسم به.
خذ مملكتك ودع الانتظار لها..

نبيّة هي.. ستتبعها الكلمات، والأرقام ستدور حولها ،
تأخذها إلى سماء الحلم .

دعاء....

اسمي دعاء ومازلت وحدي في عراكي مع الظلام، تسترني
وحدتي وأخشى عليّ من أنفاسي المتلاحقة ساعة حركة.
لماذا اسمي دعاء؟

- أبي... لا يحق لك أن تضعني بيد أخرى أخسر أحلامي
كطائر خسر جناحيه.. لا يحق لك أن تتركني مع الأشباح..-
لماذا أتساءل وأوجّه لك النداء وانت مشغول بالحياة التافهة؟
لماذا تدور عصاك حولي حتى وأنا قريبة منك؟

أيامي تومئ إلى نهاية مجهولة وعمري خمسة عشر
عاماً، لا أعرف أين زهرة عمري ،، ربما هي على هيئة ذنب
أو أفعى تجدل لي صفائري.

صرت أكره مرور المشط على شعري خشية أن تصبح
أسنانه أنياب أفعى تنهش فراشة روعي.
من أنا بالنسبة إليه؟

كان يقبلني صباحاً وهو غادٍ إلى عمله، كان يجلب لي
الحلوى ليبعد عني وساوس القلق في امتحانات السنة
النهائية في اللغة الانكليزية.

يعرف جيداً ضعفي في هذه المادة،، لذلك كان يقول لي:

- دعاء بنيّتي لا تخافي اللغات،، هي روح الانسان وصوته
أحببها كما تحببيني، فأحببتها منذ تلك اللحظة لذا جاءت
علامتي نهاية العام بدرجة ثمانية وثمانين،، هذا يعني
الكثير لي قياساً بدرجاتي السابقة التي أقل من خمسين درجة.

يتصور أنني أشبهه ،، يلمس تعرّق وجهي حين أحضر
أماسيه الشعرية أو أقرأ إحدى قصائده،، وأتفاعل معها.

لكني لا أشبهه أبداً بل أشبه نفسي فقط... من يشبهني الآن
وأنا أتخبّط في أوديتي العمياء؟

أشبه نفسي ولا أريد أن يشبهني الرجل الذي يحووني... أثبت
لي أن ما بيني وبينه محظ دم... قرابة أبوية تثقل وحشتي
فتزيد بنرها عمقاً.

لكأن ما بيننا مجرد منديل ورقي،، تمزقة أصغر قطرة ماء..
أراه بروحي وأتحسر على خمسة عشر .. هذا الرقم غريب
عليّ الآن كغربة أبي عني.

حين أسمع الأصوات أزداد التباساً فتوجعني الطفلة في داخلي
،، بل المراهقة التي اخلتطت لديها الأسماء فما عادت تعنيها
حروفها حتى اسم دعاء قررت أن تلغيه من قواميس
الأدعية..

مراهقة تزار مراراً كلبوة قيدوا قوائمها وربطوا حول
عينها حلماً معتماً وقالوا لها امش على هداك... أعضائي لا
دعاء فيها ولا أنا في دعاء،، فمن نكون نحن؟

طفلة أم مُراهقة أم لبوة؟،، ثلاثتنا فوضى الريح ،، ثلاثتنا
بحاجة إليك أيها الأب الغيور ... سأشقّ حنجرتي وأصرخ
بأعلى صوتي خارجة إلى الطرقات:

- لا أريد برلماناً عليلاً فيه أبي،، لا أريدكم كلكم أيها
البرلمانيون،، لأنكم جميعاً على شاكلته،، لا أريد ما لا أريده
أن يدخل بيتي.. كيف تلتقي بكم الجمعان وتهبكم ثقّتها
المطلقة؟

حماسٌ،، أصواتٌ،، انتخاباتٌ،، برلماناتٌ،، ودعاء عمياء
لا علاج لها،، بل لها لكن المرشّح الجديد لم يُبصر.. تركني
أدفع ثمن معان لم تكتمل كي أكتب قصة المسيح ..
كل الفصول تقفّت على صباي،، أقسمّها على طولي الفارع
كقامة عمّتي،، فأجدها تأكل جسدي بشراهرة..

علاقتي بأمّي علاقة الأرض بانبثاق الماء،، وبأخوتي الستة
علاقة المجانين بالمجانين... صاروا أكثر هدوءاً من قبل
ويلعبون برقّة قربي،، أشعر بأنفسهم قبل خروجها من
صدورهم وأتيقن ماذا سينطقون،، أنطقه قبلهم وأرسم صوراً
بإشارات أصابعي... لستُ خرساء،، بل لأنني تركت الرسم
للعماء،، موهبتي القديمة وانتباه معلّمتي في الصف لبراعتي
واختيارها لي لأمثل مدينتي في مسابقة العاصمة للفنانين
اليافعين.

علاقتي بوسادتي انعكاس النوم على القاتل من الوحدة.
بكل الأشياء حولي،، علاقة أصداء... والتلفاز أجراسُ كنائس .
صديقات المدراسة وجارات منزلنا،، يقرأن دروسهن كل يوم
في غرفتي جهاراً بقصد الآ أشعر بالقطيعة عن دروسهن
الجديدة... كان هذا بعد أسبوع من ظلام تام قصد زرقّة
عيني،، كبرى البنات مزحت معي :

- ليت لي هذه الزرقّة الفتّانة يا دعاء.

أجبتها بحسرة من لا رجاء له:

- عيون زرق سوداء.

ضحكتُ وقتها لأتلافى حزناً خيّم على مرّحهن..

عشرة أيام ولا صديقة أو جارة،، سألت أمّي وأجابني صمتها.

لا ثقة لي بك،، أبي،، ملاكك أنا في طريقه لخلق اسمه ليجعل
من الحروب سماوات أخرى... ملاك أعمى لن يقدر على
رؤية نجاحاتك البرلمانية،، ولن يقرأ قصائدك الجديدة... لا
أظنك ستكتب قصيدتك الإنسانية التي أشبعني بها إنسانيةً
وعلمتني أن أقتدي بها.. لن يسعفك الإلهام مستقبلاً ...
تعرف السبب،، نعم تعرفه .

وقت أخبرك الأطباء أن علاجي ليس مستحيلاً في خارج دولة
البرلمان،، و به بصيص أمل لم تأبه لهم بينما كنت سابقاً
تركض بي من مشفى إلى مشفى ومن عيادة إلى أخرى... (
اعتلال الشبكية) هههههههه .

من حقي أضحك على اعتلال عيونهم وأضع يدي على جيبتي
أحادثه:

ربما حلم أبوك بامتلاكك،، أو قاده صوته الداخلي إلى حقيبة
مجهولة..

لن تأخذ فرصتك، أعرف مسبقاً أيها العزيز،، هم ليسوا
أنت،، فعلام قaddock دربك إليهم... لو انتخبك العميان لن أنتخبك
أنا،، لأنني أبصر ما يضره لك من أعطاك صوته... من
يدري،، سيّارة ملغومة أو قنبلة في طريق أو ستكثر
ال(أو) يا أبي وفرصتك في الموت كبيرة.. وسأرمي نفسي
إلى قارعة الطريق..

كل له حياته في الأسرة وحياتي مرتبطة بك،، لم أرض أن
تبيعها بمنصب،، لن،، ولن،، ثم الف لن.. لن توافق
عزيرتك،، هل تذكر هذه الكنية؟

سأقبل تضحيتك في عيني،، هما فداء لوطني،، ذلك لو

لو... نضفت النوايا واستنطقت الغائب من الضمائر...

رحل إلى وسطهم

حوّل الحلم
وصلاً
الصوت الذي ينهض في المرايا فجأة أين يمضي؟

*

بين كل عناق قلبين هناك قلب ينتظر من يعانقه ،، ذلك
الهمس الذي تصل أصداؤه مزامير الأهداب... إنه ضوء
يسعى إليه من يعرفه.
لكي نذهب حيث فيض تلك الرعشة، علينا أن نضيء بين
المكسور إلى نصفين نقطة ضوء بكر.

- ا -

شيء ما يطرق الباب،، يحدث صوتاً غريباً سرعان ما يتبدى وراء ستار العتمة، تبدأ ظلال على شكل مزمار تدخل هينتها على أقرب حائط، يهبط النهر بأغانيه القمرية،، تصفن جدائي محتسية رشقة ماء ... أصحو فجأة فأجدي مرشوقة بالوهم ..

- ر -

أنا عبد الله الأعرج،، من السهل جداً يدعوني أولاد الحارة الأعرج،، أولاً لأني ولدتُ يضمني النحول فوزني أقل من وزن المولود الطبيعي، وبرجل أقصر من الأخرى،، ثم عرجتُ على الشارع بأول يوم ولادتي.. لقيط رمتني الأجان الخائفة. أدركتُ من تلك اللحظة أن الإقامة على الأرض لا تستوجب البكاء جوعاً فأهل الرحم لهم شيم الرحمة .. أخذني رجل لا ينبج هدية لزوجته،، أحتضنتني في لهفة الشوق لطفل تضمه إليها،، وجعلت مني وجهها في المرأة. خرجا لزيارة امها في المشفى إثر سكتة دماغية... قبل وصولهما، اعترضت سيارة مسرعة لحظتي مع النصيب.. لم يبح لي بهذا السر إلا ناظر مدرسة الأيتام وعين تاريخ دخولي الميتم في سن الثالثة... شعرت كأنه يخبرني عن دخولي عامي الأربعين.

- أ -

لا أملك سफراً كالأخرين إلى خارج بلدي ،، تقيدني تأوهات جيبي المثقوب ،، أرسو قرب مطعم ينعم فيه الصوت بحرية ،، أتناول إفطاراً متواضعاً ثم يجيء الشارع إلى قدمي ليقول لي: - لاوقت لك في الإنتظار هنا، أنت لا تملك سफراً نحو وجبة غداء.

- ح -

احترق وحدي كما لو أن النوافذ قربي لا مساكن لها فأتبيس وردة خانتها المواعيد،، تنفلت يدي من يد مربية العنبر لأسرق قلماً بنصف عمر وأخربش بقوة على ورق بدفتر الرسم ... علامات بلا معنى وصور بلا وجوه مجرد هياكل غير متجانسة في تكوينها البشري... تقف المربية أمامي لاهثة مثل من كسرت أضلاعه ،، أتطلع في وجهها صمتاً،، صمتاً نتساءل معاً:

- من فينا يتعذب ويتلذذ باصطياد الآخر ؟

دار الأيتام لم تعطني أية لذة غير متابعة لهاث المربية المسكينة وحركة كرشها الراقص مثل اسفنجة رخوة.

- ر -

بيتي لا شبابيك له،، الشبابيك لا حائط تستند عليه،، الحوائط ليس لها أعمدة،، أسرتي ليس لها بيت وعمود،، أنا ليس لي هؤلاء... لا هاتف يعبر منه الصوت،، أي صوت،، الـ (أي) لا أي لها ولا خالة أو عمّة.. أخذوا مني الكلمات وغادروا.

أرحل إليهم.....

لم أسالها عن أي شيء،، فقط جلستُ قربها بعينين تمرحان
كما الأطفال في تناوشهم الكرة..

هي الأخرى نحيلة،، مثلي،، ربما نحولها بسبب صهيل الأثني
لذلك تجلس خاملة مهدودة،، بينما نحولي بصهيل الموسيقى
يجيد التجوال بخفّة رغم أنه فتيل مغموس بأربعين سنة.
عابنتُ ساعتها وأمرتهم بالاستعداد للعودة.. حدقت بها بنظرة
متوسلة كي تطيل البقاء لأشبع عيني من براءة الطفولة،،
لكنها أصرت على الرحيل..

امتدت يدي إلى جيبي وجدتُ بداخلة خمس (حلقومات) ..
الأشياء لا تظل كما هي. نفضتُ عنّي الـ (لا فرق) بين
الأعوام وسرنا... جيشان مختلفان ،، هم ستة أفراد وأنا
عشرة بقدمين.

طارت الكلمات،، طار اللحن،، طارت الموسيقى،، كل شيء
تبخر حين وقفنا قرب الميتم.. لم أستفسر عن سبب بقائها فيه
ونحن في أول أيّام العيد،، لكن الطفلة راء همست في أذني:
هي الأخرى بلا أهل ،،، منذ سنتها الرابعة تترتد إلى زفيرها
لحناً ضائعاً... لذا،، هي تبخر فينا وتقرأ تفاصيل الفرح .

في الثانية والخمسين،، كبر أولادي وأنا ما زلت أعاني عسراً
في هضم الأيام..

تسعة كراس عرج،، لا حول ولا قوّة إلا بالله....

الأرض لا تغفر أثام الأقدام...

كيف اهتديت إليهم؟

أبناؤك كلامٌ يشبه ... يشبه ماذا؟؟؟؟

نقطتك فوق الصاد؟

امتلات موانئ رغبتهم بالحلم والذنب سفينة وبحر.

كيف أنجح في قراءة وجوه العابرين؟

بعضهم يمرّ ساخراً يفصح عن ظنّ يدور في خلده.. بينما
آخرون يظل الحزن متصلاً بهم... العجائز أكثر رقّة من
الشباب لأنهن يدركن أن الحصى لا تُطعم جياً بل يعرفن
الموسيقى جيداً حين تحكي عن حكمة درب أفق إلى زاوية
منه عازفاً لحناً لأغنية كتبها في عيد ميلاد ابنتي ولحنتها
لأجعل منها أجمل هدية..

غادرتني مع أمها إثاء انشغالي في التلحين ولم أعرف حتى
الآن إلى أين،، رغم مرور عشر سنوات على تلك الحادثة،،
مازلت أعزف اللحن كل ليلة،، أتخذ من الشارع بيتاً لي
وللعابرين تاركاً بيت الكمان مفتوحاً ... يمرق عليه معجبون
،، تحدقني نظرات تحكي عن متشردين يرفضون المبيت
تحت سقف، سانحات بعطر أجنبي،، رائحة خمر أتيقن منها
أن خطوط الطول والعرض مُهملة،،، إلاّ العجائز والأطفال
أرى في صدورهم ما يتقن القراءة أو يجيد العزف.

حين يشتهون العنب،، يتساقط الكمان عنياً،، أجمع بعض
قروش لأشتري بها الحولى لأولادي.. بثمن لا أعزفه أنقي
روحي من الألم وأشتري للذين ينتظرون أن أزيح عنهم
الألم.

أ،،، ر،،، ر... التقيتهم في حديقة عامة ظهر عيد يلعبون
بحرية كطيور خضر بينما معلمتهم تجلس على المسطبة
تحوك الصوف.

الـ... تف تف تف،، أتفل في زيقي خشية من شياطينها
ربما سلطت أحدهم ليتجسس عليّ.

بائع الخبز ينادي على خبزه كالمزمار ويندس بين الحارات ثم
يخرج فجأة بنصف الخبز... حاشاك ربي من الإثم.
زوجة البقال السابع من مجموع العشرين بصف واحد،، شابة
في الثلاثين بينما عبد القادر في السبعين.. يدفع ثمن اليتيم
فزوجته هربت من الفقد الأسري إلى أحضان الشيخوخة
لتأكل... شبع بطنها وجسدها لم يشبع،، يلتهم خبز حميد
اليافع وتعطيه الأجر مضاعفاً،، ينام ثم يأخذ حقين ،، حق
نصف الخبز كهدية وحق جسده المسلوب بسبب الفقد كذلك..
ينام فقدان معاً،، فقد بسبب موت الأبوين وفقر الحال ،، وفقد
بسبب نعمان.. ابن زوجة أبيه البالغ من العمر عشرينه..
نعمان أولى تجربته بحميد..

سمع ذات مصيبة في الليل شخير زوج أمه وهزهة سريرهما
فغرفته لصيقة غرفتهم... في ذات الليلة رحل حميد بطعنتين
واحدة بصباه والأخرى بجيبه تاركا المنزل بمن فيه ..
عطفت عليه صديقة أمه وأعطته صرة فيها بعض قروش
وألنت قلب زوجها الخباز ليبيع له الخبز وبيات في المخبز.
ويلي من الجلوس في المقهى ليلاً.. الحنطة والأرز مسكينان
نالتهما صفة الشبع فهما يشبعا كل بطن،،، وبطون من لا
تشبعه قروش فعل الفاحش لا تمتلئ إلا برمي مراهاقات
الحارة في التهلكة،، بعض مراهاقات استسهلن الأمر رغم
بدايته القذرة،، وبعضهن يصلين بعد العودة صلاة الفجر،،
يبكين حتى يدمين عيونهن وينامن قبل أن تصحو باقي

الأسرة.. قاتلك الله يا فجرية،، لوئت نهارهن واصطدت زبائنك
من أصحاب الكروش والأغنياء ممن به شذوذ الرغبة بطفلة
بكر...

ليت لي رنة أخرى أو قلب أعصر دمه حين أطرق رأسي خجلاً
مما يقوم به أب تجاه بناته الثلاث القصر. يقودهن كل ليلة
بأذرعهن الرقيقة الفتية إلى حانة رخيصة ومسرح رخيص
ليرقصن بملابسهن العارية ،، فأكبرهن في الثانية عشرة،، لا
تناسبها الملابس العارية ،، وحين يقع الشريط الذي يربط
فستانها العاري بالكشف عن كتفها الصغير يقول لها : -
اتركيه،، قاصداً تدريبها على الإغراء..

حانة للعمال والحدادين والباعة ،، تباع الورد الاصطناعي
بخمسة دناتير،، ووقتما يلعب السكر بالرجال والشباب يرمون
الورد تحت أقدامهن ويتحرشون في مثيلاتهن .

بيع الورد المصنوع من البلاستيك ضحك على ذقون
السكراري،، يجمعه عامل الحانة لبيعة في ليلة أخرى.
بيع الطفولة ضحك على الحياة،، بيع تعب العمال والكادحين
المعدومين ضحك على الرأسمالية،، بيع الضحكات ضحك
على الحزن،،، كله بيع من العتبة إلى العتبة.. لا شيء يمنع
الوطن من الصراخ والثأر من البيع.

قراءة شارع في الليل جسارة،، عبد الله أنا لا أجرو إلا على
شكره وتقديسه وحمده،، أعرف من يحمد الله حتى على العوز
يضاعف له الله الحسنه بعشر حسنة... أنا ابن وحيدة أبيها
رزقها الله بي كواحد ربما قسمة الله أن يبقى رقم "1"
يلاحقها إلى القبر..

مُدللة أبيها تزوجت صغيرة وماتت بسببي ،رحمها الصغير لم
يتسع كبر رأسي فماتت إثر نزيف خائق.. فقد الأم منذ
صرختي الأولى جعلني أعطف في أية أرض كانت على مَنْ
قضض عضمه الطري سيدنا الفقء، وأشتم بحرية سيدتنا
الكبرى النقطة..
سيدتنا أمّ البدء الكوني لم لا تفرض حبوب منع الحمل على
أمّهات الطرق؟

غريبٌ أمر الكرسي العاشر،
يُنظّم السيّرَ وينقلُ سيّره.

*

عللُ المرور

لا أستبعد دخول كرتنا الأرضية إلى الحانة..
المسيح ضجر منها واستقبل صليبه بروح إله.
على كتفه عهدُ الله والسمائيّ ...
السَّماءُ ،،، جميلةٌ أحييتي لا تتزيّن بوشم النقطة.

ولايُسمن من جوع أحمي شيطان الأسر وأصونه من معتلّ
الوسط والآخر.

كلانا يحرس الآخر.. يحرسُ الدولة بحراسته الأسرّة وأحرسه
بعرقي النازف من ثقل الشمس، وزرقة شفّتي من برد قارس.
الزوج والزوجة معتلان،، حتى كلمة مرافئ معتلة بسمّ كل
الأزمان.

يُشبعني بأوامر لا تصلح إلا للفقراء وطبقة المعدومين من
الشعب،، وتُشبعه دولارات الشبهات... على مزار تتراقص
عابر روعي،، وروحه ترقص لغانيات شقراوات.. راقصته
السمراء ملّ منها تذكره بزوجاته الثلاث.. ترك الرابعة لوقت
الشهوة،، كي يطبق ما حلّه له الشرع عند الحاجة.

حاجته ليست مثلي فأنا تصرخ أعضائي تتلبّد فيّ كغيم أسود
وتفيض مع كحل زوجتي على وسادتها المثقوبة بفعل
الأضداد.. أبيضُ شرشفها وكحل حبيبتي أمّ الولد يتعانق معها
حتى صارا لوناً وسطاً،، اللون الرصاصي من الرصاص..
لا أحمي زوجتي من رصاصها وتنهرس قدمي وتزرق.. قال
الرئيس للأرحام الزرق:

- سنكافئ من يلد لنا طفلاً أزرق الوجه بخمسن دولاراً.
تسابقت النسوة على الإنجاب،، ومن تلد قبل الأخرى،، وبارت
حبوب منع الحمل.. خسرت صيدليات الحارة،، فتحوّلت
فاترينات الصيدليات إلى دكاكين لبيع ملابس داخلية للنساء.
اسمه دائماً مرفوع في أولى صفحات الصحف (السيّد الرئيس)
.. إسمي مكسور الخاطر.. (راضي) تُقطع مؤخرته،، يطاردني
بفعل حرف العلة في حالة الجر فأصاب بداء النصب.

حروف العلة مصيبتنا الكبرى..

معتلّ الوسط والآخر..

ثناءً نهديه للغتنا فقد أهدتنا المعتلين.

ستعيش طويلاً سيارات موكب الرئيس،، أوقفتُ السير كله
ليمرق من يشبهه،، حتى سيارات الإسعاف توقفت عن إعلان
ضوئها الطارئ .

دم المصابين ولا دم الرئيس،، هكذا أختي تسمّيه،، الرئيس .

عند صياح الديك أخرج مسرعاً لأحميه من دمنا الوسخ
بالإنسانية،، فشرابينه تختلف عن شرابيننا،، لها رقة خاصة
وعذوبة خاصة لأنها لا يُضرمها الشكّ بشيء يخذشها أو
يوحى بذلك، فالإيحاء ولو بإشارة حرام في عُرف السيّاف.
بين كل عناق لزوجين يصبح هو الثالث.. (ما اجتمع امرأة
ورجل في خلوة إلا كان الشيطان ثالثهما).. براتبي اللابغني

هو لا يُشبهني في بحثي عن نفسي فيّ ولا يماثلني في الشكل،، ربما نتشابه في الصمت،، فهو يخشى على الكرسي فلا يُجهر بسرقة الدولة وأنا لا أجروء بالبوح عن سرقة لي. أمعقولٌ هذا؟؟ أفق كالسيّاف أرفع يدي اليمنى ثم اليسرى وتليها اليمنى عشرة بعد المئة،، قف،، سر،، تحرك،، قف،،،، دور بأربع جهات ولي ذراعان صارا بعدد جهات السير... لا أعرفهما هل كانا لي أم لموكب الرئيس أم للمجهول القادم سيّدنا غير المشكوك بتنصيبه علينا.

شخّث ولم تشخ الكراسي..

غيّرت اسمي ،، في اللحد أريده (دارس) .. أعرف مغزى الأسماء،، حين يسألني من سيحاسبني في القبر عن أشكال التعذيب تحت الأرض سأقول له : - دارس..

دارس،،، دارس درس درس الدنيا ،، عذبي بما ترغب ،، دُبغ جلدي في الدنيا بالموت (إن الشاة لا يؤلمها السلخ بعد الذبح).

*

سَمَر

خذ نصف زجاجة عرق وقل: - ه ه ه ه ه ه،، تف. أدخل من هذا الباب أوذاك لا فرق،، كل الأبواب مثقوبة ولا حرج عليك إن دخلت من الثقب فانت السكران. قل بصحة كل الأبواب شرط الأ تدخل روضة أطفال. في الكرسي الحادي عشر للصف(أ) في روضة عبّاد الشمس،،زهرة رأت بعينها طريقة خبز الأطفال في التلفاز..

سلوى بجديلتين طويلتين ناعمتين.. جسد ممشوق ووجه
ناعس العينين أبيض البشرة،، لذا تشتري لها أمي ثياباً
زاهية تليق بلونها، أنا أيضاً أحب الألوان زاهية كسلوى.
مرتبها الأولى في الصف ..

كل شي بمكانه تماماً... دولاب ملابسها،، دفتر الرسم الذي
رسمت به شجرة وتركته لي أرسم مثل شجرتها، الوسادة ،،
لحافها الزهري، حذاء الرياضة وسريرها فارغ منها..
رقتها عمّتي قبل خروجها إلى المدرسة بالمعوّذات فهي
متعلقة جداً بعمّتي زهرة،، ابتمت سلوى ملوحة لعمّتي بيدها
الجميلة وغادرت مع أمي، بينما صوتها بقي في الدار مثل
ضمة ضوء تحتضن المكان.

تُعويني لعناقها كلما رجعت من المدرسة،، أنتظرتها ،، انتظرت
صدرها الصغير بدفنه

دخلتُ أَلعب في غرفتنا كأنها قبّالتي أهديتها لعبة وتهديني أخرى
قاصدة تعليمي عدّ الأرقام مثل طريقة معلّمّتها في الصف..
صرخة عمّتي هزّت لِعبي،، هزّنتني، هزت جدران سابع جار ..
لم ترجع سلوى مضاعة بالعناق..

رجعت أمي خائبة من بحثها في سطح جار لمدرسة سلوى رأته
في التلفاز يقول :

- عثرتُ على رأس طفلة في سطح الدار.. كانت ترجو أن ترى
ظفيرة أو شريطاً يعرفها بهوية هذا الرأس .. ركضت لجار
آخر قال :

- رأيت بحديقة منزلنا ذراعاً مقطوعة لا أعرف إن كانت لطفل
أو طفلة.

أدينهم سمر،، سمر أدينهم يا سمر،، قتلوا ازهارك البيضاء،،
سمّورتى الحلوة،، أدينهم وتهجّي ذراعين مقطوعتين
بحصص الدرس.

أخاف من كل الأشياء..

أخاف من لعب أختي سلوى، أراها أشباحاً تتعلق بسقف غرفة
نومي .

اعتدتُ أَلنوم معها في الغرفة ذاتها.. سلوى تكبرني بثلاثة
أعوام.. بعد كل شتاين تبادلني ثوبها فأفرح به وأدور في كل
أرجاء البيت .. مهما كبرت هي سنة أنا أكبر سنة ،، يعني كل
سنة أفرح بثوب جديد به رائحة أختي .

بعضهم كان يستنكر وبعضهم يصف صاحب السيارة الملقومة
حين ترجل عنها وركنها قرب المدرسة،، ربما هو بينهم
يستنكر ضمير من دفع له لينفذ فعلته ويستنكر ضميراً
صحراوياً يصدر وجوه الشر... لا أظن لهم ضمير كي يستنكر.
كان الصباح جائعاً لجثث أطفال في الإبتدائية وهم يحاولون في
خطواتهم أن يضعوا نقطتهم الأولى صوب الخط المستقيم في
الحياة.
الأبواب مخلوعة،، التلاميذ خلعهم الذعر من أرواحهم
وانفصلوا عنها...
حتى نظارة أبي انخلت عن عينيه ولم يعد لها النعاس.

*

لأجرّدي منّي أحتاج لبلبون وفاء تهرب من قلبي ،، أحتاج
لطفل تتسعه أعماق الأكوان.
راسك سلوى ... تدور الأرض حوله.
آخر كرسي يراحم نفسه فينا.

حاولت التلصص عليهما من شرخ في الباب فقد أوصد أبي الدكان عليهما ،، العم 13 جالس قبالة أبي يبخلق فيه مثل من ينهض من الموت وينظر بوجه الحياة، رأيت بعينه نظرة لم أرها من قبل،، غاب وجهها بالدمع الصامت،، ثم قام أبي احتضنه وراح يجهش في البكاء.

الـ 13 هل جاء يعايد أبي أم يبكيه؟ هل تذكر اليوم عيد؟ ضحكا بقوة .. متشجج أبي بضحكته الهستيرية والعم 13 ضحكته ببلاهة ،، ضرب بقدميه الأرض بشدة.

استحم العم 13 في ليلة العيد وألبسه والذي دشداشة جديدة ، مشط شعره وقبله على جبينه مثل الطفل.

لم ينم في الجامع ،، أدخله أبي إحدى الغرف ،، غطاه جيداً ،، ومسح على شعره ،،

جلس قربه حتى غفا،، وخرج على أطراف أصابعه خشية إيقاظه.

صحت مسرعاً لأقبل يد أبي أعيده ،، لم أجده،، أسرعت الخطي نحو المسجد،، لم أراه،،، تأكدت من أمي أنه خرج،، فتحت باب الغرفة على العم 13 لم أجده في فراشه...ماذا حصل،، أبي لا يستسلم لفجيرة ولا تخيفه الأزمات أين ذهب .

المسافة بيني وبين الظنون قريبة من أنفاسي ،، شممت رائحتها،، وقبل التصاقها بروحي هلاً علينا ،، كان الوقت قبل صلاة الظهر.

قبلت يده ودخلنا ثلاثتنا الدار.

عرفت بعدها أنهما ذهبا لزيارة قبر عمّتي حميدة.

وقت سألته عن حميدة رد بقوة: استغفر لها يا بُني وليرحمها الله ويرعاها بغفرانه.

رقم مشؤوم؟

هل سيخونه ظله؟

ثلاثة عشر مقابل خمسة عشر.

في الثالثة عشر من تاريخ غامض،، ضغطت حورية على الزناد وحرقت الورد.

انتحر الزهر وبقيت شجرة عارية على شكل حبيبة.

لا يتذكر اسمه،، لا يعرف غير رقم 13، لو سئل عنه قال 13 بخنة،، وإن قال له إمام الجامع: هل أنت جاع؟ ترد عليه الخنة 13 .

أبي لا يسأله،، فهو يعرفه أكثر منا جميعاً ،، يعرف سراً يخفيه عني وهو لا يخفي عن ابنه البكر سراً ،، غريب أمر أبي.. عطفه على 13 يثير استغرابي، بيده يلبسه وهو من يأتي به من الشارع ليحممه في الحمام خاصتنا، وبيده يطعمه الزاد ثم يتركه على سجيته يرحل.

في ليلة عيد الأضحى،، دخل العم 13 وحده إلى بقالة أبي،، كيف اهتدى إليها ومن عادته التوهان؟ لا يعرف اتجاه ولا مكاناً،، في بيتنا يأكل و في المسجد ينام.

لا أفقه هذا السرّ، بل في الأسرار كلها،، كما لا أحب الأسرار...

أي شخص أجده قريباً من والدي ومن العم 13 لا يفصح ،، لماذا الإيهام؟ أتساءل وأجيب على نفسي.

أكلت وجبة الغداء بلا شهية .. دخلتُ غرفتي مثقل الخطي ،، جلستُ أنظر من النافذة المطلّة على الشارع.. عيد الأضحى كعيد الفطر،، عادا قبل صلاة الظهر وجلسا يلوكان لقمهما على مضض. .. تركتهما غير مكترث للحلوى التي صنعتها خالتي .

مكثتُ ثلاث ساعات أعاين الأطفال في الشارع أقيس عدد خطواتهم بعمر الفرحة في عيونهم،، أعرف ملابسهم الجديدة والخياط وسعر خياطتها،، أعرف الأرض الفرحة بأقدامهم،، كلمات الكتب،، الأناشيد ،، أعد الأرقام الصحيحة والعوجاء،، ضوضاء المازة وضحكاتهم،، أعرف أعداد النمل على شبّاكي،، اصطدته برمي قطعة حلوى إليه..

لم يجرب أحد صيد النمل لكني اصطدته لأهرسه بنعلي. . عادة رحت أفعلها كل عيد من الشبّاك ذاته مُطلاً على العم 13 بجلسته على ركن الرصيف.

أتراه ينتظر حميدة تأتيه كعاشقة؟

يتفقد الأبواب والأسيجة ويقف ساعات تحت الشمس منتظراً حميدة تأتيه.

فهرست

1- توطئة

2- اهداء

3- الرّاء والمسدّس

4- حرّ طوعَ حرّهُ

5- سماءٌ صماء

6- الممحو

7- لصّ أذهس

8- دُعاء

9- رحلٌ إلى وسَطهم

10- لا حولَ ولا...

11- عللُ المرور

12- سَمَر

13- 13

14- فهرست

. حازت على تكريم من جمعية المترجمين واللغويين
المصريين مع عضوية شرف في حفل تم برعاية الدكتور
حسام الدين مصطفى رئيس الجمعية.

. حازت على الدرع الذهبي والجائزة الاولى في مسابقة
نجيب محفوظ للقصة القصيرة عن قصتها " الليلة التي
لم تجد متعة"- مصر دار الكلمة نغم 2009 .

. حازت على الجائزة الأولى بمسابقة القصة القصيرة "
مؤسسة أور الثقافية الحرة" العراق عن قصتها"أربع
أقدام وسطح"2009.

. حازت على الجائزة الذهبية – الملتقى الثقافي
العربي مصر عن قصتها"الجثث تشرب العصير" 2009

. حازت على الجائزة الثالثة – اتحاد الادباء العراقي -
النجف مسابقة القصة القصيرة عن قصتها" عقاب أم
ثواب" 2009 .

. حازت على جائزة المتروبوليت نقولاوس نعمان
للفضائل الإنسانية لبنان 2008 عن مخطوطها المعنون
(من مذكرات طفل الحرب) .

. حازت على جائزة (قلادة العنقاء الذهبية للإبداع)
التي يمنحها (مهرجان العنقاء الذهبية الدولي) العراق
لعام 2008.

عن الكاتبة:

* وفاء عبد الرزاق

* مواليد العراق- البصرة 1952

* المملكة المتحدة- لندن

* دبلوم محاسبة.

الجوائز:

. حاز ديوان " من مذكرات طفل الحرب" على أن يكون
موضوعا لنيل شهادة الإجازة في الأدب العربي بجامعة تبسة
الجزائر 2009 .

. حاز ديوان " من مذكرات طفل الحرب" بعد ترجمته
الى اللغة الفرنسية " دار لارمتان" فرنسا في مشروعها
السنوي" من القارات الخمس" على أن يكون ضمن من
يمثل قارة آسيا تحت اشراف البروفسور"جوزيف
تومسيان"

. حازت على تكريم من وزارة الثقافة المصرية كفضل
شاعرة عربية لعام 2009 وذلك لجهودها الثقافية
والانسانية وسلمها الدرع مدير عام قصر الثقافة في
مدينة الاسماعيلية الأستاذ" أحمد مطاوع".

- . المديرية التنفيذية ومسئولة العلاقات الخارجية
لمؤسسة أور المستقلة للثقافة الحرة، العراق.
- . رُشحت سفيرة للنوايا الحسنة من قبل المؤسسات
الثقافية المدنية غير الحكومية ونخبة من المثقفين
والمبدعين الملتزمين بقضايا الإنسان والإبداع 2008.
- . شاركت في تأسيس (كالري النخلة البيضاء) و (دار
النخلة البيضاء لرعاية وتأهيل أطفال الشوارع) العراق.
- العضوية:
- عضو فخري في جمعية المترجمين واللغويين المصرية ،
مصر.
- عضو: حركة شعراء حول العالم ، شيلي .
- عضو : مؤسس في مؤسسة رسول الأمل الانسانية ، لندن .
- عضو : رابطة الأدباء العرب مصر.
- عضو : منظمة كتاب بلا حدود المانيا .
- عضو : منتدى الكتاب المغتربين لندن.
- عضو : الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق .
- عضو : إداري في المنتدى العراقي مسؤولة اللجنة الثقافية-
لندن
- (تحرير جريدة المنتدى) سابقا .
- عضو : فخري في الملتقى الثقافي البحرين.

- . حازت عل وسام الوفاء (نادي ثقافة الأطفال
الأيتام) م (النخلة البيضاء) 2008 العراق.
- . حازت على تكريم من الديوان الثقافي العراقي –
لندن 2008.
- . حازت على تكريم من مؤسسة النور الثقافية –
العراق – السويد 2008.
- المشاركات:
- . سفيرة نادي ثقافة أطفال العراق الأيتام – لندن م)
(النخلة البيضاء).
- . المديرية الدولية للمشاريع الخيرية والإنسانية
لمؤسسة النخلة البيضاء العراق.
- . الممثل الرسمي لانتلاف منظمات المجتمع المدني
العراقي في لندن.
- . عضو الهيئة العليا المشرفة على برلمان الطفل
العراقي، العراق.
- . المديرية التنفيذية لمهرجان العنقاء الذهبية الدولي
الرحال ومسؤولة المتابعات الخارجية للمهرجان .
- . عضو الهيئة الاستشارية المشرفة لمهرجان
الهربان السينمائي الدولي العراق.
- . عضو مؤسس ورئيس مجلس إدارة مؤسسة ودار
ومجلة وجريدة كلمة الثقافية ، مصر.

عضو : الملتقى الثقافي العراقي سوريا ..

عضو : جمعية الشعراء الشعبيين، العراق .

عضو : منتدى القصة السورية سوريا.

عضو : اتحاد كتاب الانترنت العرب.

عضو: في اتحاد ادباء الانترنت العراقي.

عضو: في تجمّع العشراء العرب.

الإصدارات:

أ – اصدار صوتي:

شعر ، القاء وموسيقى شعر شعبي CD 6 عدد

ب – الشعر الفصيح:

1- هذا المساء لا يعرفني: مؤسسة الانتشار العربي-

لبنان 1999

2- حين يكون المفتاح أعمى: مؤسسة الانتشار العربي -

لبنان 1999

3- للمرايا شمسٌ مبلولة الأهداب – دار الكندي -

الأردن 2000

4- نافذة فلتت من جدران البيت – منشورات بابل -

العراق 2006

5- من مذكرات طفل الحرب- دار نعمان للثقافة - لبنان 8

200

6- حكاية منغولية – دار نعمان للثقافة - لبنان 2008

7- من مذكرات طفل الحرب باللغة الفرنسية - دار لارمتان -

فرنسا

2009

8- أمنحني نفسي والخارطة – دار الكلمة نغم -

مصر 2009

9- طبعة ثانية، من مذكرات طفل الحرب – دار الكلمة نغم-

مصر 2009

10- البيتُ يمشي حافيا - دار كلمة - مصر 2010

11 - من مذكرات طفل الحرب - طبعة ثالثة - مصر 2010

الشعر الشعبي:

1- أنا وشويّة مطر - دار الكندي الأردن 1999

2- وقوّستَ ظهر البحر – دار الكندي الأردن 1999

3- مزامير الجنوب – دار الموسوي أبوظبي 1996

4- تبللت كلي بضواك - دار كلمة مصر 2010

5 - عبد الله نبتة لم تُقرأ في حقل الله دار كلمة مصر 2010

6 - بالقلب غصّة - دار كلمة مصر 2010

الروايات:

1- بيت في مدينة الانتظار - دار الكندي الأردن 2001

2- تفاصيل لا تُسعف الذاكرة- دار الكندي الأردن 2000
(رواية شعرية)

3- السماء تعود الى اهلها - دار كلمة-
مصر 2010

4 - اقصى الجنون الفراغ يهذي - دار كلمة -
مصر 2010
مجاميع قصصية:

1- إذن الليل بخير - دار الكندي الأردن 2000

2- امرأة بزّي جسد - دار الكلمة نغم - مصر- 2009

3- نقط - دار كلمة - مصر - 2010

4- بعض من لياليها - دار كلمة - مصر 2010

مجموعة قصصية قيد الطبع:

1 - بقعة ارتجاف حرة (مشروع قصصي شعري فني
مشترك، الكاتبة سعاد الجزائري قصص قصيرة، وفاء عبد
الرزاق شعر، الفنانة عفيفة لعبيبي رسم. فكرة العمل محاكاة
المجموعة القصصية للكاتبة سعاد الجزائري شعريا وفنيا،
ويشمل الكتاب لكل قصة قصيدة ولوحة.)

2- بعض من لياليها .

مخطوطات:

أ - الشعر الفصيح:

1- مدخل للضوء.

2- أدخل جسدي أدخلكم.

3 - أم البشر ، صورة وقصيدة.

ب - الشعر الشعبي:

1- حزن الجوري.2

2- ترنيمة الفراشات..

3- نايات لها شكلي.

4- انتماءات لوجع المطر.

قصص قصيرة شعرية:

1- وجوه، اشباح، أخيلة.

الترجمات:

1- تُرجمت بعض الأعمال الى اللغة الانجليزية والفارسية
والفرنسية والايطالية والتركية واللغة الكردية ويقام حاليا
الترجمة إلى الإسبانية.

2- ترجمت بعض الاعمال الشعرية الى اللغة الفرنسية في
موسوعة السلام العالمي للابداع .

3- ترجمت بعض أشعار (من مذكرات طفل الحرب) الى
اللغة التركية ضمن موسوعة السلام للطفل.

4 – تمت ترجمة ديوان (من مذكرات طفل الحرب) الى اللغة الانكليزية والفرنسية والايطالية ،، ضمن مشروع فلم سينمائي يدعو الى السلام العالمي باسم الطفل العربي وباسم الطفولة في العالم. وستصاحب عرض الفلم بعد انجازه تظاهرة فنية أدبية وذلك بجهود فنائين وكتاب وشعراء آمنوا برسائلته وتطوعوا للعمل في هذا المشروع.

المساهمات:

- 1 - نشرت في العديد من الصحف والمجلات العربية.
- 3 – ساهمت في العديد من المهرجانات الشعرية والأمسيات الثقافية عربياً وعالمياً .
- 4 – شاركت في مهرجان السلام العالمي للشعر، فرنسا .